الفصل الثالث
مناقشة نصوص أدلة ألوهية المسيح

المبحث الأول: الميلاد العذري

ميلاد المسيح الفائق نواميس الطبيعة جعله في رتبة الله بل جعله الله نفسه. فهل يصح هذا؟ إن المطلع على الكتاب المقدس يدرك أنه بهذا الاعتبار فإن هناك من هو أولى بالألوهية من المسيح عليه السلام.

جاء في سفر التكوين في قصة آدم عليه السلام: (وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً...18وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «لَيْسَ جَيِّداً أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِيناً نَظِيرَهُ». 19وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا. 20فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ. وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِيناً نَظِيرَهُ. 21فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتاً عَلَى آدَمَ فَنَامَ فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْماً. 22وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. 23فَقَالَ آدَمُ: «هَذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ)[1].

من خلال هذا النص الذي يؤمن به المسيحيون نجد أن آدم وحواء ليس لهم أب ولا أم، وعليه يفترض أن يكونا إلهين قبل المسيح، وفي هذا يقول الإمام ابن القيم: "وإن قلتم: إنما استدللنا على كونه إلها بأنه لم يولد من البشر، ولو كان مخلوقا لكان مولودا من البشر، فإن كان هذا الاستدلال صحيحا فآدم إله المسيح، وهو أحق بأن يكون إلها منه لأنه لا أم له ولا أب له والمسيح له أم، وحواء أيضا اجعلوها إلها خامسا لأنها لا أم لها، وهي أعجب من خلق المسيح"[2]. وهو الشأن نفسه بالنسبة لملكي صادق[3] فهو أيضا لا أم له ولا أب (فإنَّ مَلكيصادَقَ هذا هو مَلِكُ شَليم وكاهِنُ

---

(1) سفر التكوين2/18،7-23.

(1) "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى"، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، ط1، 1996، ص: 492.

(3) ملكي صادق شخصية كتابية غامضة، واسمه معناه: "ملك البر" وأيضا "ملك السلام"، ينظر "دائرة المعارف الكتابية"، مجلس التحرير: دكتور صموئيل حبيب، القس منيس عبد النور،

اللهِ العَلِيّ، خَرَجَ لِمُلاقاةِ إبراهيمَ عِندَ رُجوعِه، بَعدَما كَسَرَ المُلوكَ، وبارَكَه،2 ولَه أدَّى إبراهيمُ العُشْرَ مِن كُلِّ شَيء. وتَفسيرُ اسمِه أوَّلا مَلِكُ البرّ، ثُمَّ مَلِكُ شَليم، أي مَلِكُ السَّلام.3 ولَيسَ لَه أبٌ ولا أُمٌّ ولا نَسَب، ولَيسَ لأيَّامِه بِداية ولا لِحَياتِه نِهايَة، وهو على مِثالِ ابنِ الله... ويَبْقى كاهِنًا أبَدَ الدُّهور)[1].

هكذا يظهر أن الميلاد بدون أب لا يجعل من الإنسان إلها، والمسيحيون أنفسهم لم يقولوا بألوهية آدم وحواء وملكي صادق، وكان الأولى القول بألوهيتهم بدل المسيح عليه السلام. هذا مع العلم أنه لا يوجد نص عند المسيحيين في الكتاب المقدس يقول إن من ولد بغير أب فهو إله ليؤكدوا به اعتقادهم.

نبوءة إشعياء:

وفي إطار الميلاد العذري أنتقل إلى قضية جد مهمة ومتعلقة بنبوءة إشعيا عن ولادة المسيح من عذراء.

جاء في إشعيا (وَلَكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ»)[2].

هذا النص يعتبره المسيحيون من بين أقوى النصوص التي حواها العهد القديم للبشارة بمولد المسيح من عذراء.

يقول مجدي صادق:"وهذه الآية بالذات ترجمها سمعان الشيخ وهو من علماء اليهود المشاركين في ترجمة العهد القديم إلى اليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد وكان مكلفا بترجمة سفر إشعياء النبي فلما وصل إلى الآية " ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء (העלמה) (ها عيل ماه) تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل ارتبك وتحير متفكرا كيف يمكن لعذراء غير متزوجة أن تلد ويكون مولودها هو الله نفسه الذى يعطى نفسه آية، وتفكر في نفسه قائلا أن العذراء يستحيل أن تحبل وتلد فأراد أن يكتب عوضا عنها كلمة "الفتاة" فأوحى الروح القدس إليه أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب مولودا من عذراء"[3].

يرى الكاتب أن سمعان الشيخ كان من المترجمين الذين ترجموا العهد القديم إلى اليونانية، وأنه كان مكلفا بترجمة سفر إشعيا.

دكتور القس فايز فارس، جوزيف صابر، المحرر وليم وهبة بباوي، نشر دار الثقافة، ، م7، ص: 222.

(1) رسالة بولس إلى العبرانيين7/1-3.

(2) إشعيا14/7.

(3) "شهود يهوه والمؤامرة الماسونية"، مجدي، 53.

إن هذا قول باطل لأن كل مترجم كان مكلفا بالعهد القديم كله وليس بسفر واحد. وحول هذه القصة تقول سلوى ناظم: "تعرف الترجمة اليونانية باسم السبعينية: interpretio Septuaginta Senirum أي ترجمة السبعين رئيسا"[1].

وسبب هذه الترجمة يرجع إلى القصة الآتية: "أن بطليموس الذي حكم مصر أمر بترجمة التوراة إلى اليونانية، في مقابل إطلاق سراح ما يقرب مائة ألف سجين يهودي، كان أبوه (بطوليمي صوطي) قد سجنهم.

وقيل أيضا إن أمين مكتبة الإسكندرية Démetrius بعث إلى الملك بطليموس رسالة يخبره فيها بأن لليهود كتابا تستحق المكتبة الملكية أن يكون من بين الكتب التي تملأ رفوفها ووافق الملك على ذلك، وقرر إطلاق السجناء مقابل ترجمة العهد القديم لليونانية"[2].

تقول سلوى ناظم: "وقد جعل بطليموس مسكنا خاصا لكل عالم وحظر عليهم الاجتماع فيما بينهم.... وحيث هناك العزلة والهدوء قام الاثنان سبعون عالما بإتمام الترجمة في اثنين وسبعين يوما"[3].

هكذا يتضح أن كل مترجم كلف بالعهد القديم كله وليس بسفر مستقل، وهذا ما يدحض قول مجدي صادق. وتجدر الإشارة إلى أن هناك باحثين مثل: Richard Simon اعتبروا القصة مجرد أسطورة وأنها من العادات التي تميز بها اليهود والمتمثلة في اختلاق القصص العجيبة والأساطير الغريبة والمعجزات الخارقة التي يحتاج الشعب اليهودي إليها، ويجب سماعها، حتى يصدق صحة الأمور الدينية. ولما كان Aresté أحد اليهود الذين يعرفون العقلية اليهودية، لجأ إلى هذه الأسطورة لتلقى الترجمة السبعينية قبولا بين أوساط اليهود"[4].

ثم إن قول مجدي صادق عن سمعان فأراد أن يكتب عوضا عنها كلمة "الفتاة "فأوحى الروح القدس إليه أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب مولودا من عذراء. بمعنى أن الروح القدس كان حاضرا ومعينا للمترجمين. وهذا خطأ، يقول إدريس اعبيزة:"ثم إن هذه الترجمة لم تكن هي الوحيدة باللغة اليونانية، بل إن بعض

---

(1) "الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطور"ة، سلوى ناطم، ص: 16.

(3) هذه هي القصة باختصار ولمن أراد التوسع ينظر كتاب: "مدخل إلى دراسة التوراة ونقدها مع ترجمتها العربية لسعديا كؤون الفيومي"، ادريس عبيزة، نشر مكتبة الأمان الرباط، ص: 147-148.

(3) "الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة"، ناظم، ص: 16-17.

(4) "تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي"، يوسف الكلام، ص: 128 ، نقلا عن ، Richard Simon.

المؤرخين وبعض نقاد التوراة والمترجمين رأوا في الترجمة السبعينية بعدا عن النص العبري، فقاموا بوضع ترجمات يونانية أخرى. لتفادي الأخطاء التي وقعت فيها الترجمة السبعينية"[1]. إذا، الترجمة السبعينية فيها أخطاء، وعليه فلا معنى لقول مجدي الصادق.

أنتقل إلى ترجمات الكتاب المقدس لبيان مدى إلتزامها بكلمة "العذراء":

- الترجمة اليسوعية: (فلِذلك يُؤتيكُمُ السَّيِّد نَفْسُه آيَةً: ها إنَّ الصَّبِيَّة تَحمِلُ فتَلِدُ آبناً وتَدْعو آسمَه عِمَّانوئيل).

وعلقت في الهامش بالقول: (إن اللفظ العبري علمه يدل إما على صبية، وإما على امرأة لم يمضي زمن طويل على زواجها).

- الترجمة العربية المشتركة: (ولكنَّ السَّيِّدَ الرّبَّ نفْسَهُ يُعطيكُم هذِهِ الآية: ها هيَ العذراءُ تحبَلُ وتلِدُ اَبنًا وتدعو اَسمَهُ عِمَّانوئيلَ).

وعلقت في الهامش: "العذراء أو المرأة الصبية زوجة الملك، ويوسف زوج مريم لم يكن ملكا وإنما كان نجارا".

- الترجمة الفرنسية:

(Ah certes! Le Seigneur vous donne de lui- même un signe: Voici, la jeune femme est devenue enceinte, elle va mettre au monde un fils qu'elle appellera Immanou

الفرنسية سمتها بـ: المرأة الشابة، la jeune femme .

- التوراة العبرية: (לָכֵן יִתֵּן אֲדֹנָי הוּא, לָכֶם--אוֹת: הִנֵּה הָעַלְמָה, הָרָה וְיֹלֶדֶת בֵּן, וְקָרְאת שְׁמוֹ, עִמָּנוּ אֵל).

هذه ترجمات مختلفة يتبين من خلالها أن ربط كلمة العذراء بمريم لا يستقيم كما تشهد النصوص أعلاه. فكل ترجمة تختلف عن الأخرى وليس فيها عذراء.

رغم ذلك فهم يربطون النص بالعذراء مريم وأن الله المتكلم نفسه يصبح آية يقول يعقوب ملطي عن العدد موضع التحليل: "الآية التي يُريد الرب أن يهبها لكل مؤمن هي أنه يعطي ذاته "عمانوئيل[2]". يريد القول أن عمانوئيل هذا هو الله نفسه.

---

(1) "مدخل إلى دراسة التوراة ونقدها مع ترجمتها العربية لسعديا كؤون الفيومي"، ادريس عبيزة، ص: 150.

(1) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/27-Sefr-Asheia/Tafseer-Sefr-Ash3eia2__01-Chapter-07.html

الملاحظة الأولى إذا، هذا القول صراحة يعد مفتاحا حقيقيا لكشف التلاعب في النصوص، ففي ترجمة الفاندايك نجد (وَلَكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ»).

لكن بالعودة إلى بعض الترجمات نجد ما يفضح التحريف، وأذكر من ذلك:

الترجمة العربية المشتركة: (ولكنَّ السَّيِّدَ الرّبَّ نفْسَهُ يُعطيكُم هذِهِ الآيـة: هـا هـيَ العذراءُ تحبَلُ وتلِدُ اَبنًا وتدعو اَسمَهُ عِمَّانوئيلَ).

العهد القديم ترجمة بين سطور عبري عربي: (ولكنَّ السَّيِّدَ الرّبَّ نفْسَهُ يُعطيكُم هذِهِ الآية: ها هيَ العذراءُ تحبَلُ وتلِدُ اَبنًا وتدعو اَسمَهُ عِمَّانوئيلَ).

التوراة العبرية: قالت يعطي لكم آية (לָכֶם—אות).

هذه النصوص تنفي قول يعقوب ملطي القائل بأن الله هو نفسه الآية. لكن الترجمات فضحت تفسيره. فالنص واضح أن الله يعطي آية أو علامة أو إشارة.

يضيف يعقوب ملطي في موضوع العذراء قائلا: "الكلمة العبرية المستخدمة لعذراء هي "آلما "Alma وليس بتولية "ولا "ايشا"، فإن كلمة"آلما" تعني عذراء صغيرة يمكن أن تكون مخطوبة، أما "بتولية" فتعني عذراء غير مخطوبة بينما إيشا تعني سيدة متزوجة. وكأن كلمة "آلما" تُطابق حالة القديسة مريم تمامًا بكونها عذراء وفي نفس الوقت مخطوبة للقديس يوسف"[1].

وللرد على هذا التفسير بالرجوع إلى المعجم العبري أقول إن:

معني كلمةעַלְמָה هو:

- הָעַלְמָה: شابة، فتاة، آنسة، صبية.

ومعنى كلمة בתולה هو:

- בתולה: عذراء، بتول، باكر، فتاة.

وهكذا يكون النص بالعبري ها الشابة أو الفتاة أو الآنسة أو العذراء تلد ابنا.

- الملاحظة الثانية والتي أغفلها المسيحيون وربما تجاهلوها عن قصد، وهي ضرورة معرفة السياق الذي جاء فيه القصة، وليس أخذ جزء مبتور من العدد.

وهذه هي القصة كاملة أنقل نصها رغم طوله: (وفي أَيَّامِ آحازَ بنِ يوتامَ بنِ عُزِّيَّا، مَلِكِ يَهوذا، صَعِدَ رَصين، مَلِكُ أرام، وفاقَحُ بنُ رَمَلْيا، مَلِكُ إِسْرائيل، إِلى أُورَشَليمَ لِمُحارَبَتِها، فلَم يَقدِرا علَى مُحارَبَتِها. 2 وأُخبِرَ بَيتُ داوُدَ وقيل: «إِنَّ أرامَ قد حَلَّ في أَفْرائيم». فاَضطَرَبَ قَلبُه وقَلبُ شَعبِه آضطِرابَ شَجَرِ الغابِ في وَجهِ الرِيح. 3 فقالَ الرَّبُّ لِأَشَعْيا: «اُخرُجْ لِلِقاءِ آحاز، أَنتَ وشَآرَ ياشوبُ آبنُكَ، إِلى آخِرِ قَناةِ

(1) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/27-Sefr-Asheia/Tafseer-Sefr-Ash3eia2__01-Chapter-07.html.

البركَةِ العُلْيا، إلى طَريقِ حَقلِ مُنَظِّفِ الثِّياب، 4 وقُلْ لَه: تَنبهْ وكُنْ هادِئاً، ولا تَخَفْ ولا يَضعُفْ قَلبُكَ مِن ذَنَبَي هاتَين الجَمرَتَين المُدَخِّنَتَين بِسَبَبِ آضطِرامِ غَضَبِ رَصين، مَلِكِ أرام، وآبن رَمَلْيا. 5 فإنَّ أرامَ وأفْرائيمَ وآبنَ رَمَلْيا قد تآمَروا عليكَ بالسُّوءِ قائلين: 6 لِنَصعَدْ على يَهوذا ونُرَوِّعْه ونُحَطِّمْه تَحتَنا ونُمَلِّكْ فيه آبنَ طابَئيل. 7 هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: لا يَقومُ الأمرُ ولا يَكون 8 لِأنَّ رَأسَ أرامَ هو دمَشْق ورَأسَ دمَشْقَ هو رَصَين وبَعدَ خَمَسٍ وسِتّينَ سَنَة يُحَطَّمُ أفْرائيمُ فلا يَبْقى شَعباً 9 ولِأنَّ رَأسَ أفْرائيمَ هو السَّامِرة ورَأسَ السَّامِرَةِ هو آبنُ رَمَلْيا وأنتُم إن لم تُؤمِنوا فلَن تأمَنوا 10 وعادَ الرَّبُّ فكَلَّمَ آحازَ قائِلاً: 11 «سَلْ لِنَفسِكَ آيةً مِن عِندِ الرَّبِّ إلهِكَ، سَلْها إمَّا في العُمْقِ وإمَّا في العَلاءِ مِن فَوقُ». 12 فقالَ آحاز: «لا أسأَلُ ولا أُجَرِّبُ الرَّبّ». 13 فقالَ أشَعْيا: «إسمَعوا يا بَيتَ داوُد. أقليلٌ عِندَكم أن تُسئِموا النَّاسَ حتَّى تُسئِموا إلهي أيضاً؟ 14 فلِذلك يُؤتيكُمُ السَّيِّد نَفْسُه آيَةً: ها إنَّ الصَّبِيَّةَ تَحمِلُ فتَلِدُ آبناً وتَدْعو آسمَه عِمَّانوئيل. 15 يَأكُلُ لَبَناً حَليباً وعَسَلاً إلى أن يَعرِفَ أن يَرذُلَ الشَّرَّ ويَختارَ الخَير، 16 لِأنَّه قَبلَ أن يَعرِفَ الصَّبيُّ أن يَرذُلَ الشَّرَّ ويَختارَ الخَير، تُهجَرُ الأرضُ الَّتي أنتَ تَخافُ مَلِكَيها)[1].

(1) – سفر اشعياء7/1-16

ويمكن تلخيص النص فيما يلي:

- أنه في زمن إشعيا تحالف رصين ملك أرم[1] مع فقح بن رمليا ملك إسرائيل[2] وقررا مهاجمة آحاز بن يوثام (ملك يهوذا)، والرب أرسل النبي إشعياء ليطمئن قلب آحاز بأن الرب سيحمي يهوذا.
- عاد الرب فطلب من آحاز طلب آية لكن رفض قائلا: وعادَ الرَّبُّ فكَلَّمَ آحازَ قائِلاً: «سَلْ لِنَفسِكَ آيةً مِن عِندِ الرَّبِّ إلهِكَ، سَلْها إمَّا في العُمْقِ وإمَّا في العَلاءَ مِن فَوقُ». 12 فقالَ آحاز: «لا أسأَلُ ولا أُجَرِّبُ الرَّبّ».
- رغم رفض آحاز طلب آية، أعطاه الله آية وهي: (فلِذلك يُؤتيكُمُ السَّيِّد نَفْسُه آيَةً: ها إنَّ الصَّبِيَّةَ تَحمِلُ فتَلِدُ آبناً وتَدْعو آسمَه عِمَّانوئيل). وهذا الصبي قبل أن يعرف الشر ويختار الخير تهجر الأرض التي يرعبه – يُرعِب آحاز- ملكها.

يقول يعقوب ملطي -بعد أن ربط النص بالمسيح وأمه وقد سبق دحض هذا الأمر-: "أما بالنسبة لما تم في أيام آحاز فقد أعلن الله عن ميلاد ابن إشعياء، قيل عنه: لِأَنَّه قَبلَ أن يَعرِفَ الصَّبيُّ أن يَرذُلَ الشَّرَّ ويَختارَ الخَير، تُهجَرُ الأرضُ الَّتي أنتَ تَخافُ مَلِكَيها. وتحقق ذلك بدقة إذ هاجم ملك أشور دمشق بعد إعلان هذه النبوة بفترة قصيرة وقتل رصين (سفر الملوك الثاني 9/16) كما قتل هوشع بن إيلة فقح بن رمليا وملك عوضا عنه(سفر الملوك الثاني30/15). وأعيد 200000 أسير بسرعة، وذلك لا بالقوة والقدرة بل بروح الرب (سفر الأخبار الثاني28/8-15)"[3].

فنص النبوءة بعيد كل البعد عن المسيح وميلاده الإعجازي، ولا مجال لربطه بالمسيح عليه السلام، على اعتبار أن النبوة تخص حدثا تاريخيا وقع قبل المسيح بسنوات عديدة.

- مريم العذراء وولادة المسيح

بعد هذا الرد على نبوة إشعياء أنتقل إلى الحديث عن مريم العذراء وولادة المسيح عليه السلام وفق المعتقد المسيحي.

يقول الأنبا غريغوريوس: "وأما الولادة فقد كانت ولادة حقيقة بعد حمل استغرق تسعة أشهر كاملة، ومع ذلك فقد انفردت العذراء مريم بأن ولادتها لم تخدش

---

(1) "قاموس الكتاب المقدس، ترجمة وتأليف جورج بوست"، طبع في بيروت، ط1894ص: 484.

(2) نفسه، ط1901، ص: 167.

(3) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/27-Sefr-Asheia/Tafseer-Sefr-Ash3eia2__01-Chapter16.html

بكارتها... وهو برهان على لاهوت المسيح"[1]. لكي يبرهن على أن المسيح هو الله قال رغم ولادته بقيت مريم عذراء. ويضيف شارحا ذلك: "فمتى ولدت عذراء فمولودها هو الإله، ذلك أن الله وحده يستطيع أن يلج العناصر الصماء وهي مغلّقة، ولا يحتاج إلى فتح الباب متى دخل ولا إلى ترك أثر إذا خرج. هكذا دخل الله إلى العالم من باب مغلّق أي بواسطة عذراء مختومة"[2].

فهل فعلا أن مريم لما ولدت المسيح عليه السلام بقيت عذراء؟ الإجابة عند المسيحيين الأرثوذكس أنها فعلا بقيت عذراء، لكن الإشكال في ذلك عندهم هو غياب نص على ذلك، وما قيل عن عذريتها يبقى فقط مجرد أقوال.

والغريب في الأمر أنه توجد نصوص وتفسيرات يفهم منها عكس ما يقولون، جاء في لوقا: (وبَينَما هما فيها حانَ وَقتُ وِلادَتِها، فولَدَتِ ابنَها البِكر، فَقَمَّطَتهُ وأضجَعَتهُ في مِذوَدٍ لأَنَّهُ لم يَكُنْ لَهُما مَوضِعٌ في المَضافة)[3]. أي إن مريم جاءها المخاض. وهذا ما يفسره متى المسكين بقوله: "كيف احتملت المخاض وحدها، كيف استقبلت الطفل بيديها، كيف قمطته وهي منهوكة القوى؟ ماذا شربت ماذا أكلت؟: اشهدن يا نساء العالم على أم المخلص كم عانت؟ وكم تستحق التمجيد، عزائي الوحيد أن الرحلة الشاقة ذات الأربعة أيام والتسعين ميلا سهلت الوضع بحسب خبرة أصحاب التوليد وأهلتها لمعونة ملائكية، وأخفيت عن الإنجيل ليزداد عطفنا عليها وحبنا لها"[4].

هذا التفسير يدحض بكل صراحة قول الأنبا غريغوريوس القائل بأن الذي ولدته مريم هو الله الذي وحده يستطيع أن يلج الأماكن الصماء. فمتى المسكين يؤكد أن مريم جاءها المخاض وعانت أثناء الولادة، وأن ظروف السفر هي التي ساعدت وسهلت الوضع. وما يُرَد به أيضا على غريغوريوس، فإذا كان باستطاعة المسيح أن يخرج من الأماكن الصماء وبهذه القدرة الخارقة للعادة، فما كان له أن يولد في حضيرة الحيوان بل كان عليه أن يختار ما هو أفضل وما يليق بقَدره. لكن لم يحصل ذلك بل ولد في حضيرة الماشية يقول الأنبا غريغوريوس: "ذهبا إلى فندق متواضع في تلك المدينة، ولكنهما لم يجدا لهما مكانا فيه... فأقاما في حضيرة الماشية... وقد

---

(1) اللاهوت العقيدي سرى التجسد والفداء، الأنبا غريوريوس، نشر مكتبة الأنبا غريغوريوس بمصر، ط2004، ص: 159.

(2) نفسه، ص: 161.

(3) لوقا2/6-7 .

(4) "الإنجيل بحسب القديس لوقا دراسة وتفسير وشرح"، الأب متى المسكين، مطبعة دير أنبا مقار، ط1998،1، ص: 125.

اتفق أن حان موعد ولادتها في ذلك الوقت فولدت ابنها الإلهي...وقد قمطته في الغالب ببعض ثيابها أو ثياب خطيبها. وإذ لم يكن ثمة في الحظيرة فراش أو ما يشبه الفراش تضعه فيه، مهدت له مكانا في مذود من مذواد الماشية بالحظيرة وأضجعته فيه"[1]. إذن فالله الذي ولج الأماكن الصماء ولد في حظيرة الماشية. لعدم وجود مكان في الفندق.

ومما يستشف من قول الأنبا غريغوريوس – أي خروج المسيح من الأماكن الصماء-أن مريم لم تتنجس باعتبار الطريقة التي تمت بها الولادة كما يعتقد. إلا أنه يوجد ما يخالف قوله بالنص لا الاجتهاد ففي لوقا نجد:

الترجمة العربية المشتركة: (ولـمَّا حانَ يَومُ طُهورهما بِحَسَبِ شَريعَةِ موسى، صَعِدا بـه إلـى أُورَشَليم لِيُقَدِّماه لِلـرَّبّ)[2]. ذكرت الترجمة طهورهما وهذا خطأ وتحريف للنص. ولعل ترجمة الفاندايك تكشف ذلك.

ترجمة الفاندايك: (وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ).

فالتطهير يتعلق بمريم لا غير، بمعنى كانت نجسة حسب شريعة موسى جاء في سفر اللاويين: (وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: 2«قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِذَا حَبِلَتِ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَراً تَكُونُ نَجِسَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ. كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْثِ عِلَّتِهَا تَكُونُ نَجِسَةً. 3وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْتَنُ لَحْمُ غُرْلَتِهِ. 4ثُمَّ تُقِيمُ ثَلاَثَةً وَثَلاَثِينَ يَوْماً فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا. كُلَّ شَيْءٍ مُقَدَّسٍ لاَ تَمَسَّ وَإِلَى الْمَقْدِسِ لاَ تَجِئْ حَتَّى تَكْمُلَ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا. 5وَإِنْ وَلَدَتْ أُنْثَى تَكُونُ نَجِسَةً أُسْبُوعَيْنِ كَمَا فِي طَمْثِهَا. ثُمَّ تُقِيمُ سِتَّةً وَسِتِّينَ يَوْماً دَمِ تَطْهِيرِهَا)[3].

وقد شهد متى المسكين بنجاسة مريم قائلا: "أما تطهير الأم القديسة فهذا بناء على وصية سفر اللاويين تظل غير طاهرة بسبب الدم سبعة أيام وتبقى في البيت ثلاثة وثلاثين يوما"[4]. فمريم إذن ولدت المسيح ولادة طبيعية وخرج من حيث يخرج المولود وتنجست كباقي النساء. وهذا بشهادة النصوص، ومن ثمة فلا مجال للقول إن المسيح- الإله- ولج الأماكن الصماء ولم تتنجس مريم وبقيت عذراء.

إن ودلاة المسيح عليه السلام بغير أب تعد في معتقد المسيحين أن الله تجسد ودخل رحم مريم بمعنى أن مريم والدة الإله المتجسد وهذا هو موضوع المطلب الثاني.

---

(1) الانبا غريغوريوس، نشر مكتبة الأنبا غريغوريوس مصر، ص: 32 "تفسير إنجيل القديس لوقا.

(2) لوقا22/2.

(3) سفر اللاويين12/1-6.

"(4) الإنجيل بحسب القديس لوقا، دراسة وتفسير وشرح"، متى المسكين، ص: 135.